النصف الآخر:
الفتيات في العصابات

الفتيات والنساء هن عضوات ونصيرات فاعلات في العصابات. إنهن ضحايا، وشاهدات ومرتكبات أعمال عنف. وهذا الفصل يتناول جملة أدلة بدأت بالظهور تلقي الضوء على الأدوار التي تضطلع بها النساء والفتيات في كل من العصابات والجماعات المسلحة.

أعدادهن وأدوارهن. تقديرات نسبة الإناث في عالم العصابات متباينة إلى حد كبير، فبيانات المسح الوطني للشباب من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة أبانت أن نسبة الإناث بلغت ٢٥ و٥٠ في المائة على التوالي، بينما أشارت بيانات وكالات إنفاذ القانون الأمريكية إلى أنها ٧ في المائة. والتقدير المعتدل لنسمة الأناث في عالم العصابات في أنحاء العالم بين ١٣٢ – ٦٦٠ ألفاً.

كلا الجنسين ينضمان بغية حماية أنفسهم من الأسر أو من شباب آخرين مسيئين.

لقد شاركت الفتيات في العصابات والعنف منذ زمن طويل، وانشغلت شهادات من مطلع القرن العشرين بوصف الحياة الجنسية للفتيات وعلاقاتهن الجنسية غير الشرعية، وتصويرهن على أنهن لسن أكثر من مساعدات لعصابات الفتيان. ولم يظهر التقييم الدقيق لخبرات الأناث من العضوات في العصابات بشكل بارز إلا في الثمانينات والتسعينات، وخاصة في الولايات المتحدة، وإن أخذ يتزايد في بلدان أخرى. ومعظم الأناث العضوات في العصابات، حالياً، هن جزء من «عصابات مختلطة» يهيمن عليها الذكور.

والعصابات حالها مثل حال الجماعات المسلحة تختلف إلى حد كبير في طبيعتها وأهدافها بحسب المكان. وقامت النساء

عضوات معتقلات من عصابة مارا ١٨ يعرضن علامات العصابة وهن يصرخن بالشتائم ضد أعضاء عصابة منافسة، سان سلفادور، مايو/أيار ٢٠٠٤. لويس روميرو © تصوير اف ب

والفتيات في جميع أنحاء العالم بدور المقاتلات والنصيرات والزوجات والصديقات أو المعالات. وفي كل من العصابات والجماعات تشترك الفتيات والنساء في القتال والتجسس ونقل الأسلحة والرسائل.

دوافع الانضمام. تحدد طائفة معقدة من العوامل سبب انضمام الفتيات إلى العصابات، كما هو الحال بالنسبة للفتيان. ينضم الجنسان إلى العصابات بغية «حماية» أنفسهم من الأسر أو من شباب آخرين مسيئين. وبينت دراسات كمية لعينة صغيرة أن العنف في الأسرة عامل قوي يدفع الفتيات إلى الالتحاق بالعصابات، وربما ذلك أقوى لدى الفتيات منه عند الصبيان. فللعرق والإثنية والثقافة تأثيرات على الكيفية التي تنظر بها الفتيات إلى حياتهن الجنسية، بما في ذلك مفاهيم النقاء والوفاء والاستقلالية، محددات بدورهن مقاربتهن لـ«الأنوثة» سعياً لاكتساب «الاحترام». ومن الممكن أن تعمل عضوية العصابة على تمكين الفتيات على مقاومة التوقعات المصاحبة للدور الجنساني التقليدي للمرأة، موفرة في الوقت ذاته حماية وملاذاً من العنف والقمع في الدار. ومع ذلك فإن العصابات والجماعات المسلحة تميل، في الوقت ذاته، إلى تعريضهن لدرجات عالية من الخطر وزيادة درجة تهميشهن الاجتماعي.

العنف. رغم أن الذكور من أفراد العصابات هم أغلبية ضحايا العنف المسلح، إلا الفتيات والنساء يخضعن أكثر، على ما يبدو، لمعاناة الإيذاء الجنسي، سواء داخل العصابات أو في منازلهن. وأولى الباحثون ووسائل الإعلام الاستغلال الجنسي للفتيات ضمن الإطار الهيكلي للعصابة اهتماماً خاصاً، ما أدى إلى تصنيف الفتيات إلى فئتين: فئة «الصلبات صلابة الفتيان» المقاتلات دفاعاً عن أنفسهن، وفئة المستغلات جنسياً، وهذا يقوم احياناً مقام تقدمة «أدخالهن» للعصابة.

استخدمت النساء عبر العالم، وإن بدرجة أقل من الرجال ربما، العنف والوحشية في حالتي النزاع والسلم على مر التاريخ. وهذا ما يكون في الغالب نتيجة الإيذاء العنيف. فالنساء ينضممن للعصابات أو الجماعات ويرتكبن العنف لضمان عدم ازدراء الآخرين لهن (أو لأسرهن)، كما أن ذلك إشارة منهن إلى أنه بمقدورهن الدفاع عن أنفسهن.

ويظل استخدام النساء للعنف في سياق العصابات – وعلى العموم – ولا يزال، مفهوماً فهماً سيئاً. فعلى الرغم مما قد توحي به العناوين الرئيسية للصحف، فإن ميل الفتيات والنساء إلى استخدام السلاح والانخراط في أعمال العنف هو، في كثير من الأحيان، أقل شدة من ميل نظرائهن الذكور. ويخترن في كثير من الأحيان السكاكين أو الحجارة أو غيرها من الأدوات على الأسلحة النارية. وعلى العموم يبدو أن الانزعاج العام والمهني الخاص من عنف الانثى إنما تعبير عن القلق الثقافي حيال تغيير المعايير الاجتماعية أكثر منه تعبيراً عن تغير كبير في سلوك الأنثى.

التكوين الجنسي قد يكون محدداً جيداً لمواصلة العصابات أعمال العنف، إذ تبين الأدلة أن العصابات التي تتكون كلها أو معظمها من الاناث قد تكون أقل ضلوعاً في أعمال العنف من تلك التي تضم عدداً متوازناً من الذكور أو الإناث أو التي تتكون كلها أو في معظمها من الذكور.

الطريق إلى الأمام. عانى البحث في العصابات والانثى من ركود بعدما عرف سلسلة من الدراسات في أوائل التسعينات. وينطوي شحذ الهمم لاطلاق برنامج البحوث على إجراء دراسات استقصائية لمواقع متعددة قادرة على توليد بيانات قابلة للمقارنة والتعميم. كما قد يستفيد حقل الدراسة من مجال التلاقح مع حقل «الجماعات المسلحة» لأن هناك، كما يوضح هذا الفصل، تشابهاً صارخاً في دوافع انضمام المرأة إلى هذه الجماعات، ونوع الدور الذي تلعبه، والمخاطر التي تواجهها. فقد يكون لبعض المواضيع المعينة صلة بكل من سياقي العصابات والجماعات، مثل دور التكوين الجنس في توقع خطر تعرض الفتيات للإيذاء. وإذا كان من الممكن إثبات تلك العلاقة السببية، فإن ذلك يدعم الدعوة إلى جمع منتظم للبيانات المتصلة بالتركيب الجنسي باعتباره خصيصة أساسية من خصائص العصابة أو الجماعة.

البرامج التي تصور الفتيات والنساء بوصفهن ضحايا فقط قد تعزز عن غير قصد النظرة السلبية.

وما برحت البرمجة المتعلقة بالفتيات غير كافية إلى حد كبير ونادرا ما تستند إلى أدلة. وعلى الرغم من تراكم الشهادات عن قوة الإناث والعنف داخل البحوث المتعلقة بالعصابات، تبقى العديد من المسائل العملية معلقة من غير إجابة. فهنالك حاجة إلى المزيد من البحوث لفهم أسباب انضمام المرأة وانخراطها في عصابات العنف ولاطلاع النهج المراعي للاعتبارات الجنسانية للحيلولة دون وقوع المشكلة والتصدي لها. وتشير الأدلة المتوفرة بوضوح إلى الحاجة لبرمجة تفضي للتعرف إلى نقاط ضعف الفتيات أثناء عملية تعزيز قدرتهن على المرونة.